المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهُ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

مواطن تعظيم الله تعالى في حادثة الإفك

اسم الباحث

د/ سامية عطية الله المعبدي

د. سامية عطية الله المعبدي

مواطن تعظيم الله تعالى في حادثة الإفك

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام علىٰ الهادي الأمين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين أما بعد فإن تعظيم الله تعالىٰ من أجلّ الأعمال التي يتعين ترسيخها في القلوب وتثبيتها في النفوس؛ لتزكيتها وتطهيرها نيلًا للفلاح المنوط بذلك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[الشمس].

بل إن تعظيم الله تعالىٰ من أوجب الواجبات وأعظمها فما الإيمان في حقيقته إلا تعظيم لله تعالىٰ، ولا يكون العبد محققًا للعبودية إلا بالتعظيم المتضمن للرجاء والخوف والمحبة له سبحانه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله تعالىٰ، والرسالة لعبده ورسوله ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام. بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو الفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبًا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلًا لما فيه من المنفعة والصلاح»(١).

ومما يعين العبد علىٰ تحقيق التعظيم استحضار مواقف السلف، والوقوف علىٰ طرق تعظيمهم لله تعالىٰ، وكيفية إجلالهم له قولًا وعملًا، حتىٰ ورد عن أحدهم قوله: «وددت أن جسمي قُرِّض بالمقاريض وأن هذا الخلق كلهم أطاعوا الله عز وجل». من هنا وقع اختياري لحادثة الإفك لاستنباط مظاهر تعظيم الله تعالىٰ منها؛ كونها أنموذجًا تطبيقيًا لتعظيم الله في أكثر مواطنها، ولأنه بالبحث في الدراسات السابقة التي تناولت هذه الحادثة، وجدتها اقتصرت علىٰ استنباط الدروس والفوائد منها، ولم يتطرق أحد -حسب علمي- إلىٰ إظهار مواطن تعظيم الله تعالىٰ فيها.

أهداف البحث: يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الأتية:

١- تدبر الآيات القرآنية، والوقوف علىٰ مدلولاتها لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾[محمد].

٢- استنباط مظاهر تعظيم الله تعالىٰ القولية والفعلية في حادثة الإفك.

٣- إيجاد أنموذجٍ من سيرة النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار وصحابته الكرام يحتذىٰ به في تعظيم الله تعالىٰ.

---

(١) انظر: الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول (٣٦٩).

٤- الدعوة إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ وإحياؤها في قلوب أفراد المجتمع.

منهج البحث:

سرت في هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي والاستنباطي، حيث قمت بتتبع الآيات والأحاديث الواردة في شأن حادثة الإفك، وتحليلها، واستنباط مواطن تعظيم الله -تعالىٰ- منها.

خطة البحث:

قسمت البحث إلىٰ مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: التعريف بالإفك، وذكر ما ورد في شأنه، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف الإفك لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الآيات والأحاديث الواردة في شأن الإفك.

المبحث الثاني: مواطن تعظيم الله -تعالىٰ- في حادثة الإفك.

الخاتمة: وضمنتها ملخصًا لما توصلت إليه من نتائج، وأتبعت ذلك ببعض التوصيات.

ومن ثم فإني أسأل الله تعالىٰ التوفيق فيما أقصد إليه، والعون علىٰ ما يرضيه، وأن يجعل هذا العمل صالحًا خالصًا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: التعريف بالإفك، وذكر ما ورد في شأنه

المطلب الأول: تعريف الإفك لغة واصطلاحا

تعريف الإفك لغة: الهمزة والفاء والكاف أصل واحد يدلّ علىٰ قلب الشيء وصرفه عن وجهه، ويأتي بالفتح والكسر، أما الفتح فمصدر أَفَكَه عن الشيء يَأفِكَه أَفْكًا أي صرفه عنه وقلبه، فهو كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. ومنه قيل للريح العادلة عن مهابّها (مؤتفكة): ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ [الحاقة]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، أي: يصرفون عن الحقّ في الاعتقاد إلىٰ الباطل، وعن الصدق في المقال إلىٰ الكذب، ومن الجميل في الفعل إلىٰ القبيح.

والأَفّاك: الذي يأفِك الناس أي يصدهم عن الحق بباطله، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [الجاثية]، وأُفِكَ الرجل عن الخير: قُلِب عنه وصُرِف.

والإفك بالكسر: مصدر أَفِك يأفِك إفكًا. والإفك: الحديث المقلوب عن وجهه، والإفك: الكذب[١]. يقول الرازي[٢]: «الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء»[٣].

أما في الاصطلاح فهو: كل أمرٍ صُرِف عن وجهه[٤]. وفي (التحرير والتنوير): «اسم يدل علىٰ كذبٍ لا شبهة فيه، فهو بهتان يَفْجَأ الناس»[٥]. والمراد به هنا -إجماعًا- ما كُذِب به علىٰ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ممّا رُميت به، يقول الرَّازيُّ: «وأجمع المسلمون علىٰ أنَ المراد ما أفك به علىٰ عائشة أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا»[٦]، فهو «حديث اختلقه المنافقون، وراج عند المنافقين ونفر من سُذّج المسلمين، إما لمجرد اتباع النعيق، واما لإحداث الفتنة بين المسلمين»[٧]، ومعنىٰ القلب فيه: « أن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ١١٨)، لسان العرب (١٠/ ٣٩٠)، مفردات الراغب (١/ ٧٩).
(٢) الرَّازي: محمد بن عمر بن الحسين الرازي القرشي الشافعي المفسر المتكلم، توفي سنة ست وستمائة. طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٢١٥).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٢/ ٣٣٧).
(٤) شمس العلوم (١/ ٢٨٨).
(٥) التحرير والتنوير (١٨/ ١٦٩).
(٦) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٣٧).
(٧) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٠).

وشرف الحسب والنسب لا القذف الذي رموها به، فالذين رموها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه فهو إفك قبيح، وكذب ظاهر »[١].

قال الرازي: «وإنما وصف الله تعالىٰ ذلك الكذب بكونه إفكًا؛ لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك»[٢].

المطلب الثاني: الآيات والأحاديث الواردة في شأن الإفك

ورد في شأن الإفك بضع آيات من (سورة النور)، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور].

قال الحافظ ابن كثير[٣]: «هذه العشر كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالىٰ لها ولنبيه فأنزل الله تعالىٰ براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ»[٤].

وسبب نزول هذه الآيات ما أخرجه البخاري ومسلم في (صحيحيهما): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ،

---

(١) الوسيط (٣/ ٣٠٧).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٣٧).

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء القرشي، كان من أئمة لتفسير والحديث والفقه، توفي سنة ٧٧٤هـ. طبقات المفسرين١/ ١١١)، ذيل تذكرة الحفاظ (٧/ ٣٦١).

(٤) تفسير القرآن العظيم / (٦/ ١٩).

فَأَيَّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا[١] فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي[٢] وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَل[٣]، دَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِين، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ[٤]، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَىٰ رَحْلِي[٥]، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ[٦] قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَىٰ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ[٧]، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ فَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي، غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ[٨] مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَىٰ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَىٰ

---

(١) هي غزوة بني المصطلق وتسمىٰ المريسيع، وقد كانت في شهر شعبان سنة خمس علىٰ الصحيح. انظر: فتح الباري (٨/ ٤٥٨).

(٢) الهَودَج: محمل يوضع علىٰ ظهر البعير تركب عليه النساء ليكون أستر لهن. انظر: فتح الباري (٨/ ٤٥٨)، وانظر: لسان العرب (٢/ ٣٨٩).

(٣) قفل: أي رجع من غزوته. فتح الباري (٨/ ٤٥٨).

(٤) أي أعلم بالمسير.

(٥) أي رجعت إلىٰ المكان الذي كانت نازلة فيه.

(٦) الجَزع: خرز يماني في سواده بياض كالعروق. وظَفَار: مدينة باليمن، قرب صنعاء علىٰ بُعْد ١٥٠ مترًا منها، كان بها مسكن ملوك حمير. انظر: شرح النووي (١٧/ ١٠٤)، معجم البلدان (٤/ ٦٠)، منة المنعم (١٤/ ٢٨٤).

(٧) أي يثقلن باللحم والشحم.

(٨) أسلم قبل المريسيع وشهدها، شهد الخندق والمشاهد بعدها، قتل في غزوة أرمينية شهيدًا سنة تسع عشرة في خلافة عمر. وقيل: إنه غزا الروم في خلافة معاوية فاندقت ساقة ثم لم يزل يطاعن حتىٰ مات وذلك في سنة ثمان وخمسين والله أعلم. الاستيعاب (٢/ ٧٢٥)، أُسْد الغابة (٣/ ٣١).

حَتَّىٰ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَىٰ يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الجَيْشَ مُوغِرِينَ[١] فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ، قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، قَالَ عُرْوَةُ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ[٢]، وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ[٣]، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ[٤]، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ[٥]، فِي نَاسٍ آخَرِينَ لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَإِنَّ كِبْرَ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ[٦]، ، قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ، وَتَقُولُ: إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ[٧] فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ يَرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّىٰ خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ[٨]، وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَىٰ لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ[٩] قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، قَالَتْ: وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي البَرِّيَّةِ قِبَلَ الغَائِطِ، وَكُنَّا

(١) أي: نازلين في وقت الوَغْرة، وهي شدة الحر. النهاية (٥/ ٢٠٩)، فتح الباري (٨/ ٤٦٣).

(٢) أي: يستخرج الحديث بالبحث عنه. النهاية (٥/ ١٩٠)، لسان العرب (١٥/ ٣٩٣).

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، توفي قبل الأربعين في خلافة علي، وقيل: غير ذلك. الاستيعاب (١/ ٣٤١)، أسد الغابة (٢/ ٦).

(٤) مِسْطح بن أُثَاثه بن عباد بن عبد المطلب القرشي المطلبي، يكنىٰ أبا عباد شهد بدرًا، توفي سنة ٣٤، وقيل شهد صفين مع علي ومات سنة سبع وثلاثين. الاستيعاب (٤/ ١٤٧٢)، أسد الغابة (٥/ ١٥٠).

(٥) حمنة بنت جحش بن رياب، تكنىٰ أم حبيبة، زوج مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، شهدت أحدًا. الاستيعاب (٤/ ١٨١٣)، أسد الغابة (٧/ ٧١).

(٦) عبدالله بن أُبي بن مالك، المعروف بابن سلول، رأس المنافقين، كانت وفاته سنة تسع. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٧-٤٥١).

(٧) أي يخوضون فيه، ويكثرون. شرح النووي (١٧/ ١٠٦)، فتح الباري (٨/ ٤٦٥).

(٨) المناصع جمع مَنْصع، وهي المواضع التي يُتَخَلّىٰ فيها لقضاء الحاجة. النهاية (٥/ ٦٥).

(٩) الكُنُف: جمع كنيف وهو الساتر مطلقًا، والمراد به هنا: المكان المتخذ لقضاء الحاجة. فتح الباري (٨/ ٤٦٥)، شرح النووي (١٧/ ١٠٦).

نَتَأَذَّىٰ بِالكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ المُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا[1]، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ[2] وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: وَقُلْتُ: مَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَىٰ مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَ اللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً[3] عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ، أَوَ لَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ [4]حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ[5]، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ[6]، فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟». قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ[7] غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ[8]

---

(١) بكسر الميم، أي: في كسائها (منة المنعم ٤/ ٢٨٥).

(٢) أي يا هذه، وقيل: يا امرأة، وقيل: معناها يا بُلْهي، فكأنها نسبتها إلىٰ قلة المعرفة بمكائد الناس وشرورهم (النهاية ٥/ ٢٧٩، فتح الباري ٨/ ٤٦٦).

(٣) أي حسنة جميلة (فتح الباري ٨/ ٤٦٧).

(٤) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أمّه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، وكان يسمّىٰ حبّ رسول الله ﷺ، مات في آخر خلافة معاوية. الاستيعاب (١/ ٧٥)، أسد الغابة (١/ ١٩٤).

(٥) أي: أبطأ نزوله (فتح الباري ١/ ١٨٢).

(٦) بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عتقت تحت زوجٍ، فخيَّرها رسول الله ﷺ فكانت سُنة. الاستيعاب (٤/ ١٧٩٥)، أسد الغابة (٧/ ٣٧).

(٧) أي: أعيبها به، وأطعن به عليها (النهاية ٣/ ٣٨٦).

(٨) كلّ ما يألف البيوت من الحيوان من البهيمة والطير وغيرها، والمراد هنا: الشاة. وقصدها من هذا الكلام أنها بريئة من كل عيب (منة المنعم ٤/ ٢٨٦، والنهاية ٢/ ١٠٢).

فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ[١] مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا مَعِي». قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ[٢]، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ[٣]، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ[٤]، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَىٰ قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ[٥]، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ[٦]، قَالَتْ: فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّىٰ هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَىٰ المِنْبَرِ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّىٰ سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّىٰ إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَىٰ ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ:

---

(١) أي: طلب مَنْ يعذره منه (فتح الباري ٨/ ٤٧٠، شرح النووي ١٧/ ١٠٩).

(٢) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأوسي ثم الأشهلي، شهد بدرًا وأحدًا، ورُمي يوم الخندق بسهم فعاش شهرًا، ثم انتقض جرحه فمات. الاستيعاب (٢/ ٦٠٢)، أسد الغابة (٢/ ٤٦١).

(٣) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الساعدي، شهد العقبة وبدرًا، مات بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف مضتا من خلافة عمر الاستيعاب (٢/ ٥٩٤)، أسد الغابة (٢/ ٤٤١).

(٤) أي أغضبته الحمية، وهي: أن يُعاقَب رجل من قبيلته الخزرج علىٰ يد رجل من الأوس. (فتح الباري ٨/ ٤٧٢، منة المنعم ٤/ ٢٨٨).

(٥) أسيد بن حضير بن سماك الأنصاري الأوسي الأشهلي، أسلم بعد العقبة الأولىٰ وشهد العقبة الثانية وأحدًا وما بعدها من المشاهد، توفي سنة عشرين. الاستيعاب (١/ ٩٢)، أسد الغابة (١/ ٢٤٠).

(٦) قال ابن بطال (شرح صحيح البخاري ٨/ ٤١): «ولم يكن سعد منافقًا، لكن مجادلته عنه استحل منها أسيد أن يرميه بالنفاق». وقال ابن حجر (الفتح ٨/ ٤٧٣): «وقد اعتذر المازري عن قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة إنك منافق أن ذلك وقع منه علىٰ جهة الغيظ والحنق والمبالغة في زجر سعد بن عبادة عن المجادلة عن ابن أبي وغيره، ولم يرد النفاق الذي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر».

وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»، قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي[1] حَتَّىٰ مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ: فَقَالَ أَبِي: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ: قَالَتْ أُمِّي: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ: لَا أَقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ كَثِيرًا[2]: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لَا تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُنِّي، فَوَاللهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَىٰ، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، فَوَاللهِ مَا رَامَ[3] رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّىٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ[4]، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ العَرَقِ مِثْلُ الجُمَانِ[5]، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ». قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ[6]، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَتْ: وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] العَشْرَ الآيَاتِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ

---

(١) أي: ارتفع وذهب (النهاية ٤/ ١٠٠).

(٢) قال ابن حجر (٨/ ٤٧٥): «قالت هذا توطئة لعذرها، لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

(٣) أي ما برح وما فارق مجلسه (النهاية ٢/ ٢٩٠، فتح الباري ٨/ ٤٧٦).

(٤) أي شدة الكرب من ثقل الوحي، وأصل التبريح المشقة والشدة (النهاية ١/ ١١٣).

(٥) شبّهت عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن (النهاية ١/ ٣٠١، فتح الباري ٨/ ٤٧٦).

(٦) أي قومي فاحمديه وقبّلي رأسه واشكريه لنعمة الله تعالىٰ التي بشرك (شرح النووي ١٧/ ١١٢).

وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور]، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ(١) عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ لِزَيْنَبَ: «مَاذَا عَلِمْتِ، أَوْ رَأَيْتِ». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي(٢) مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ، قَالَتْ: وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ، فِيمَنْ هَلَكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: «وَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ(٣)، لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَىٰ قَطُّ(٤)، قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٥).

وأخرج الواحدي(٦) بسنده: عن الزُّهريِّ، عن عروة: أنّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ بحَديثِ الإِفْكِ، وَقَالَت فيه: وَكَانَ أَبُو أَيوبٍ الأَنْصَارِيُّ(٧) حِينَ أَخْبَرتهُ امْرأتُه(٨) وقالت: يَا أَبَا أَيوبَ، أَلَمْ تَسْمع مَا تَحدث النّاسُ؟ قَالَ: وَمَا يتَحَدّثُون؟ فَأخْبرتُه بِقَولِ أَهلِ الإِفْكِ، فقال: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتكَلّمَ بِهَذَا سُبْحَانكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظيم، قالت: فأنزل الله عَزّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور].

---

(١) زينب بنت جحش، أسدية من أسد بن خزيمة، أمّ المؤمنين، من المهاجرات تزوجها بأمر الله، توفيت سنة عشرين في خلافة عمر. الاستيعاب (٤/ ١٨٤٩)، أسد الغابة (٧/ ١٢٦).

(٢) أي: تطلب من العلو والرفعة والحَظْوة عند النبي ﷺ ما أطلب (النهاية ٢/ ٤٠٥).

(٣) تعني صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) الكنف هنا الثوب الذي يكنفها أي يسترها (شرح صحيح البخاري ٨/ ٤٤).

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٦) الواحدي: علي بن أحمد بن محمد، أبو الحسن الشافعي، إمام علماء التأويل، مات سنة ٤٦٨هـ (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٥٣، طبقات المفسرين ١/ ٣٩٤).

(٧) أبو أيوب، خالد بن زيد بن كليب الأنصاري النجاري، غلبت عليه كنيته. شهد العقبة وبدرًا وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ مات بالقسطنطينية في زمن معاوية سنة ٥٢هـ. الاستيعاب (٢/ ٤٢٤)، أسد الغابة (٢/ ١٢١).

(٨) أمّ أيوب الأنصارية، ابنة قيس بن سعيد بن عمرو من الخزرج. الاستيعاب (٤/ ١٩٢٥)، أسد الغابة (٧/ ٢٩١).

المبحث الثاني: مواطن تعظيم الله - تعالى - في حادثة الإفك

لما كانت حادثة الإفك قد وقعت في أفضل مجتمع، وخير خلقٍ، وفي زمن الصفوة من العباد نجدها زاخرةً بالكثير من المواطن التي أظهر فيها رسول الله وصحابته الكرام رضوان الله عليهم تعظيمهم لله تعالىٰ ولرسوله وشرعه ومن مواطن التعظيم التي تجلّت في هذه الحادثة ما يلي:

أولًا: تعظيم من عظّمه الله تعالىٰ كتعظيم الرسول وآل بيته وأهل بدر وغيرهم، فإن العبد إذا عظّم ما عظمّه الله تعالىٰ امتلأ قلبه بالتعظيم لله، والخشية منه[1]، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، وكل محبة وتعظيم للبشر، فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسوله وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لحب الله له. ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان، ومحبة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وإجلالهم، تابع لمحبة الله ورسوله لهم[2].

وقد ظهر جليًا تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم لأم المؤمنين عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- والتزامهم الأدب معها؛ إجلالًا لها وتعظيمًا لحرمة رسول الله ﷺ، كما فعل صفوان بن المعطل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين اكتفىٰ بالاسترجاع عن مخاطبتها بالكلام؛ صيانة لها. تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: (ووالله ما تكلمنا بكلمةٍ، ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه)، يقول ابن حجر: «وقد فهم كثير من الشرّاح أنّها أرادت بهذه العبارة نفي المكالمة البتة، فقالوا: استعمل معها الصمت اكتفاءً بقرائن الحال، مبالغةً منه في الأدب، وإعظامًا لها وإجلالًا»[3].

وهذا ما كان من القائمين علىٰ هودجها «فإن الذين كانوا يرحّلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها، والمبالغة في ترك التنقيب عمّا في الهودج، بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه وكأنهم جوّزوا أنها نائمة»[4].

كذا يؤخذ من قول أسيد بن حضير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن كان من الأوس قتلناه» تعظيمه لأمّ المؤمنين، وتيقنه طهرها وعفّتها، وهذا ما يجب علىٰ سائر المؤمنين اعتقاده تجاهها وتجاه سائر زوجات النبي ﷺ؛ فإنَّ الله عظَّمهن وأعلىٰ شأنهن علىٰ بقية نساء: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ

---

(١) تعظيم الله تأملات وقصائد (١١٦).

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ خير الأنام (١٨٧).

(٣) فتح الباري (٨/ ٤٦٣).

(٤) المرجع السابق (٨/ ٤٦٠)، البحر المحيط (٤٣/ ١١٥).

كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ [الأحزاب]، كما ينبغي عدم التطاول عليهن بالقول، وأنّ فعل ذلك مما يوجب قتل قائله، يقول ابن بطال[١]: «قال المهلب[٢]: والنظر عندي يوجب أن يقتل من سبّ أمهات المؤمنين بما رُميت به عائشة أو بغير ذلك؛ لأن قول أسيد إنما قاله قبل نزول القرآن ولم يُرَدّ عليه قوله ولو كان غير الصواب لما وسعه (يعني: رسول الله ﷺ) السكوت عليه»[٣].

ولا أدلّ علىٰ تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من قول أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لامرأته حين أخبرته بمقالة أهل الإفك: وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟، قالت: لا والله، قال: فعائشة -والله- خيرٌ منك[٤].

كذلك ظهر تعظيم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وذوده عنها مقالة السوء من جهة أن الله تعالىٰ هو من اختارها لنبيه ﷺ وزوّجه إياها[٥]؛ فإنه لما قال أهل الإفك ما قالوا، قال عمر: يا رسول الله، مَنْ زوّجكها؟ فقال: الله تعالىٰ، قال: أتنظر أنَّ ربَّك دلَّس عليك فيها، (سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)، فأنزل الله ذلك[٦].

ومن صور التعظيم في هذا الجانب، تعظيم من شهد بدرًا من الصحابة رضوان الله عليهم والذبّ عنهم، فإن أم مسطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما قالت: (تَعِسَ مسْطَح)؛ ردّت عائشة بقولها: (بِئْسَ ما قُلْتِ، أَتَسُبينَ رجلًا شَهِدَ بَدْرًا). وما ذلك إلَّا لأنَّ الله تعالىٰ فضَّلهم، ورفع مكانتهم، وأعظم

---

(١) ابن بطال: أبو الحسن علي بن خلف بن بطّال البكري القرطبي، من أهل العلم والمعرفة، توفي في صفر سنة ٤٤٩هـ. سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٣).

(٢) المهلّب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي الأندلسي، أحد الأئمة الفصحاء الموصوفين بالذكاء وقوة الفهم، ولي قضاء المَرِيّة، توفي في شوال سنة ٤٣٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٢٦).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال / (٨/ ٤١).

(٤) جامع البيان (١٧/ ٢١٢)، وقد سبق تخريجه.

(٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أُريتك في المنام ثلاث ليالٍ، جاءني بك الملك في سَرَقة من حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنتِ هي فأقول إنْ يكُ هذا من عند الله يمضه**». أخرجه البخاري (٥١٢٥)، ومسلم (٢٤٣٨)، واللفظ له.

(٦) عمدة القاري (٤/ ١٤٤)، البحر المحيط الثجاج (٣٨/ ٤٩٥)، وعزاه إلىٰ المحبِّ الطبري في أحكامه.

شأنهم، ففي الحديث: «ومَا يُدْريك، لَعَلّ الله أَنْ يَكُونَ قَد اطّلَع علىٰ أَهلِ بَدرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فَقَد غَفَرتُ لَكُم»(١).

من هنا استنبط ابن بطَّال من حديث الإفك: فضيلة من شهد بدرًا من المسلمين، وأن الدعاء عليهم وجفاء الكلمة فيهم مما يجب أن ينكر، كما أنكرته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ أم مسطح في ابنها(٢).

وهذا الموقف لأم مسطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يظهر تعظيمها لزوج النبي ﷺ، فما قالت ما قالت في حق ابنها إلّا دفاعًا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولو طالعنا سيرة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نجدها قد عَفَت عن حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتركت ما بلغها عنه في قضية الإفك، ففي (صحيح مسلم): عن عُروة بن الزُّبير: أَنّ حَسان بن ثابتٍ كَانَ ممّن كَثَّر علىٰ عائشة، فَسَبَبْتُه، فَقَالَت: يَا ابن أختي دَعْهُ، فَإِنّه كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رسول الله ﷺ(٣). كما ثبت عنها أنّها كانت تكرمه، وتذكره بخير، وتدافع عنه. بل كانت تأذن له بالدُّخول، وتدعو له بالوسادة، وتقول: ما سمعتُ بشيء أحسن من شعر حسَّان، وما تمثَّلت به إلَّا رجوت له الجنَّة(٤)؛ وما ذاك إلَّا لأنه كان يدافع عن رسول الله ﷺ، ويمدحه ويهجو المشركين تأييدًا للإسلام والمسلمين؛ فقيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله(٥).

وفعل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لهو دليلٌ علىٰ كمال عقلها، ورجاحة فهمها، حيث آثرت علىٰ عرضها عرض النبي ﷺ عملًا بمقتضىٰ قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وفيه أيضا الدلالة علىٰ تعظيمها لرسول الله ﷺ الذي هو في حقيقته تعظيم لله تعالىٰ الذي اصطفاه واختاره وأرسله رحمةً للعالمين، فإن الله تعالىٰ قد عظّم رسوله وأثنىٰ عليه في كتابه

(١) المعنىٰ علىٰ الراجح: أن الذنوب تقع منهم لكنها مقرونةٌ بالمغفرة، تفضيلا لهم علىٰ غيرهم بسبب ذلك المشهد العظيم. فتح الباري / (٨ / ٤٨٠).
وهذا جزء من حديث أخرجه البخاريَّ (٣٥٧)، ومسلم (٤/ ١٩٤١).
(٢) شرح صحيح البخاري (٨ / ٤٠)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٦/ ٥٨٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٨٧).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٦).
(٥) الصارم المسلول (٢١١).

بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، وقوله سبحانه: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة]، ورفع ذكره فلا يذكر الله تعالىٰ إلّا ذكر معه، وأوجب علىٰ المسلمين تعظيمه بقوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[الفتح: ٩]، فالتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[(١)].

ومما يبرهن علىٰ تعظيم الله تعالىٰ لنبيه، وإظهاره رفعة مكانته ما أنزله في شأن هذه الحادثة، يقول الزَّمخشريُّ[(٢)]: «لم يقع في القرآن من التغليظ في معصيةٍ ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة وأشبعها؛ لاشتماله علىٰ الوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام القول في ذلك، واستشناعه بطرقٍ مختلفةٍ وأساليبَ متقنةٍ، كل واحدٍ منها كافٍ في بابه. بل ما وقع منها من وعيد عبدة الأوثان إلّا بما هو دون ذلك، وما ذلك إلّا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ، وتطهير مَنْ هو منه بسبيل»[(٣)].

وقد أظهر الصحابة -رضوان الله عليهم- تعظيم ربهم بنصرتهم لنبيه وغضبهم له، فعندما قال ﷺ: «مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِي» انبرىٰ سعدٌ قائلًا: (أَنَا يا رسُولَ الله أعْذُرُك). كما أظهروه بمحبتهم له ﷺ، ورعايتهم لجانبه، كما يشير إليه جواب عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين شاوره الرَّسول ﷺ في أمر زوجه.

ثانيًا: تعظيم الله تعالىٰ بالمحافظة علىٰ امتثال أمره والتزام شرعه، وهو ظاهر في تمسّكه ﷺ بتنفيذ أحكام الله وإقامة حدوده التي أوجبها علىٰ عباده، وأمر بتعظيمها، فقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج] ، فإنه لما برّأ الله تعالىٰ أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أقام ﷺ حدّ القذف علىٰ الخائضين في الإفك، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لمَّا نَزَلَ عُذْرِي؛ قَامَ النَّبيُّ ﷺ علىٰ المِنبَرِ، فَذَكَر ذاكَ وتَلَا -تعني: القرآن-، فَلمَّا نَزَل

---

(١) الصارم المسلول (٤٢٢).

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، النحوي اللغوي المعتزلي المفسر، توفي سنة ٥٣٨هـ. طبقات المفسرين (٢/ ٣١٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ١٧).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٣/ ٢٢٧).

من المِنْبر أَمَر بالرجُلَيْنِ والمْرأةِ فَضُرِبُوا حَدَّهُم[١]، وهم حسَّان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش[٢]. ولا ريب أنَّ في إقامة الحدود صيانة لمحارم الله عن الانتهاك، وحفظًا لحقوق العباد، وتحقيقًا للمصلحة العامة وهي الزَّجر عن مثل ذلك الفساد.

كما ظهر امتثاله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأمر ربه بالتزامه العدل بين أزواجه، فقد ورد في أول حديث الإفك: (إنَّه كان إذا أراد أن يخرج سفرًا أقرع بين نسائه، فأيّهن خرج سهمها؛ خرج بها معه)؛ وذلك ليعدل بينهم، وتطمئن قلوبهم، وترتفع الظِّنَّة عمَّن تولَّىٰ قسمتهم[٣].

كذا يظهر امتثال أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لأمر الله بالحجاب الوارد في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب]، فلم يشغلها ما ألمّ بها عن الالتزام بشرع ربها، ولم يكن ذريعة للتهاون فيه، فما إن استيقظت علىٰ استرجاع صفوان بن المعطل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إلَّا وخمّرت وجهها بجلبابها.

ثالثًا: تعظيم الله تعالىٰ بمراعاة جانبه في التعامل مع الآخرين، ومن ذلك حُسْن الظن بالمسلمين وإيجاد العذر لهم فيما يصدر عنهم من قولٍ أو فعلٍ، وحمل ذلك علىٰ محملٍ حسن، يقول عمر بن

(١) أخرجه التّرمذي (٤٤٧٤)، وحسّن إسناده الأرنؤوط.

(٢) اختلف أهل العلم في عبد الله بن أبي، هل حُدّ أم لا؟ علىٰ قولين، الأوَّل: أنه كان ممّن جُلد الحدَّ، قال ابن حجر (الفتح ٨/ ٤٨١): «وقع ذلك في رواية أبي أويس عن الحسن بن زيد وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيرهما مرسلًا، أخرجه الحاكم في الإكليل». والثاني أنّه لم يجلد، قال القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٠١): «المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حُدّ حسان ومسطح وحمنة، ولم يسمع بحدٍّ لعبد الله بن أبي». وبهذا القول قال القاضي عياض وابن القيم وجماعة، قال ابن القيم (زاد المعاد ٣/ ٢٣٥-٢٣٦): «ولم يحدّ الخبيث عبد الله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك، فقيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة، والخبيث ليس أهلا لذلك، وقد وعده الله العذاب العظيم، فيكفيه ذلك عن الحدّ، وقيل: بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب مَن لا يُنسب إليه، وقيل: الحدُّ لا يثبت إلّا بالإقرار أو بينة، وهو لم يقرّ بالقذف ولا شهد به عليه أحد، فإنَّه إنَّما كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه، ولم يكن يذكره بين المؤمنين، وقيل: بل ترك حدّه لمصلحة هي أعظم من إقامته، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه، وتكلمه بما يوجب قتله مرارًا، وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام فإنه كان مطاعًا فيهم، رئيسًا عليهم فلم تؤمن الفتنة في حده ولعله ترك لهذه الوجوه كلها».

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨، ٧٥)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٦/ ٦٧٣).

الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَظنن بِكَلِمَة خرجت من أَخِيك سوءا وَأَنت تَجِد لَهَا فِي الْخَيْر محملًا»[(١)]، وهو ما وجّهت به عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قول سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: «كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله، لا تَقْتُلُه، ولا تَقْدِرُ عَلَىٰ قَتْلِهِ»، فاعتذرت له بقولها: «احْتَمَلتْهُ الحَمِية».

كذلك يؤخذ من قولها: «فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ» إقامة عذرهم في تحميل هودجها، وهي ليست فيه[(٢)].

رابعًا: مما يعظم المؤمنُ به ربَه تعالىٰ أن يحفظ جوارحه عمّا حرم الله تعالىٰ، لا سيما لسانه عن الوقوع في الأعراض، ففي الحديث: «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النار عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ -أَوْ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم**»[(٣)]، لذا لما بلغ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما قاله الناس فيها، وخوضهم في عرضها؛ استعظمت الأمر، فقالت: «سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا»، وهو عين ما قاله صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بلغه الأمر، فقد جاء عنه أنه قال: «سبحان الله، والله ما كشفت كَنَف أنثىٰ قط».

ومعلوم أن حفظ الأعراض إحدىٰ الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها، من هنا جاء التشديد في الآيات بما يحفظ هذا الجانب، فنبّه -سبحانه- ابتداءً علىٰ أن حق المؤمن إذا سمع قالةً في مؤمن أن يبني الأمر علىٰ ظن الخير، وأن يقول -بناءً علىٰ ظنه-: «هذا إفك مبين»، ثم كان التوبيخ والتعنيف للذين سمعوا الإفك، ولم يجدّوا في دفعه وإنكاره؛ والاحتجاج عليهم بما هو ظاهر في الشرع من وجوب تكذيبهم؛ إذ لم يستندوا إلىٰ مشاهدة ما أَخبروا به، ولا إلىٰ شهادة من شاهدوه ممن يقبل مثلهم فكان خبرهم إفكًا[(٤)].

تلا ذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور]، فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك من إظهاره ونقله؟[(٥)] كل هذا صيانة لأعراض المؤمنين، وتعظيمًا لحرماتهم، وتربية لهم علىٰ حفظ ألسنتهم، وعدم الخوض في الباطل بل إماتته بالسكوت عنه.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٣/ ٥٦١).

(٢) فتح الباري (٨/ ٤٦٠).

(٣) جزء من حديث أخرجه التّرمذي (٢٦١٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير: ٥١٣٦).

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ٤٠٢)، التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٦).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٤).

وقد زَخر المجتمع النبوي الطاهر بنماذج معظّمة لربها، حافظة ألسنتها عن الوقوع في الأعراض بل ذابةٌ عنها، فها هي بريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سُئلت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وما يُغْمَصُ عليها، وذُكر لها الحديث، قالت: «سبحان الله، والله ما علمت عليها إلّا ما يعلم الصَّائغ علىٰ تبر الذّهب الأحمر»[١]. فتصديرها القول بالتسبيح إنكارًا وإعظامًا أن ينطق بمثل هذا عمن اختارها الله زوجًا لأطيب خلقه وأفضلهم، وجعلها أحب إليه من نساء العالمين، ولا يجوز أن تكون إلا طيبةً مثله[٢].

وذاك أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ما إن سمع مقالة أهل الإفك إلا وبادر بوصفها بالكذب، وأنها إفك باطل. وتلك أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سلمت من الزيغ والخوض في الباطل، فإنه لما سألها رسول الله ﷺ عن أمر عائشة ما عَلِمت وما رَأَت ؟ قالت: «يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ إلَّا خيرًا»، قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «عصمها الله بالورع».

في العظمة هذا الموقف الدال علىٰ «ما كان عليه أزواج النبي رضوان الله عليهم من رحابة الصدر وسمو التفكير، والالتزام بالحق والقول به، علىٰ رغم التنافس والغيرة»[٣]، وما ذلك إلّا لكثرة تقواهن، وخوفهن من الله تعالىٰ وتعظيمهن إياه.

خامسًا: تعظيم الله تعالىٰ بأداء الشهادة، وعدم كتمانها والقول فيها قولًا مبنيًا علىٰ علم. فإنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ في أمر عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، شاور أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب -رضوان الله عليهم- في فراقها؛ فشهد أسامة بما علم من براءة وطهر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكثرة تقواها، وارتفاعها عن هذا الباطل، فقال: «أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلّا خَيْرًا»، وهو ما شهدت لها به بريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بل شهدت بما هو أبلغ من ذلك حين أشعرت بمدىٰ غفلتها عن الفاحشة بحيث أنها لا تخطر لها علىٰ بال، وهذا ما دلّ عليه قولها: «مَا رَأَيْتُ عَلَيْها أَمْرًا

---

(١) أي: كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلّا الخلوص من العيب، فكذلك أنا لا أعلم عنها إلّا الخلوص من العيب (النهاية ١/ ١٧٣).
وهذا جزءٌ من حديث الإفك؛ أخرجه البخاريّ (٤٧٥٧).

(٢)التوضيح لشرح الجامع الصحيح / (١٦/ ٥٩٤)

(٣)منة المنعم في شرح صحيح مسلم / (٤/ ٢٨٨)

قَطْ أَغْمِصُه غَيْر أنّها جَارِيَةً حَدِيثَةَ السنِ تَنَامُ عَن عَجِينِ أَهْلِهَا». قال ابن المُنَيِّر[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا من الاستثناء البديع الذي يراد به المبالغة في نفي العيب، فغفلتها عن عجينها أبعد لها من مثل الذي رُميت به، وأقرب إلىٰ أن تكون من المؤمنات الغافلات»[٢].

ورام عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا المقصد بقوله: «يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ»، فإنه أراد أن يتحقّق رسول الله ﷺ براءة أهله بنفسه، قال ابن حجر: «قال الشيخ محمد بن أبي جمرة[٣]: لم يجزم عليٌّ بالإشارة بفراقها؛ لأنَّه عقَّب ذلك بقوله: (وسَلِ الجاريةَ تصدقْكَ) ففوَّض الأمرَ إلىٰ نظر النَّبيِّ ﷺ، فكأنه قال: إن أردتَ تعجيل الرَّاحة ففارقها، وإن أردتَ خلافَ ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلىٰ أن تطلع علىٰ براءتها؛ لأنَّه كان يتحقَّق أن بريرة لا تخبره إلَّا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلَّا البراءة المحضة»[٤].

وعلىٰ فرض أنه قد أشار بفراقها، فلا يحمل قوله علىٰ الطعن في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أو اتهامه لها -حاشاه- إنَّما قال ما قال مصلحةً ونصيحةً لرسول الله لإرادة راحة خاطره، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الكلام الذي قاله علي حمله عليه ترجيح جانب النَّبيِّ ﷺ لما رأىٰ عنده من القلق بسبب القول الذي قيل، وكان ﷺ شديد الغيرة، فرأىٰ أنَّه إذا فارقها وسكن ما عنده من القلق بسببها إلىٰ أن يتحقَّق براءتها، فيمكن رجعتها»[٥].

سادسًا: تعظيم الله تعالىٰ أن يُعصَىٰ أو تُنتهك محارمه، بتعظيمه في نظر مَنْ وقعت منه المعصية، وإرشاد المذنب إلىٰ التوبة مهما كان عِظَمُ ذنبه «إذ أن الندم لتعظيم الله وخوف عقابه مما يبعث علىٰ التوبة النصوح»[٦].

وهذا ما أرشد إليه رسول الله عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل أن تنزل براءتها حين قال لها: «**إن كنتِ ألممتِ بذنب؛ فاستغفري الله**»؛ لعلمهِ بما للمعصية من أثرٍ؛ فهي تضعف في القلب تعظيم الله

---

(١) أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم، ناصر الدين، كان إمامًا بارعًا في الفقه ورسخ فيه، مات سنة ٦٨٣هـ. طبقات المفسرين (١/ ٨٩).

(٢) فتح الباري (٨/ ٤٧٠)، البحر المحيط الثجاج (٤٣/ ١٤٤).

(٣) عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الحافظ، أبو محمد الأزدي الأندلسي المالكي، توفي سنة ٦٧٥هـ. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (١/ ٤٢٦).

(٤) فتح الباري (٨/ ٤٦٨).

(٥) المرجع السابق.

(٦) فيض القدير (٦/ ٣٨٧).

تعالىٰ، وتضعف وقاره، والمتجرئون علىٰ المعصية، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، وكيف يقدّره ويجلّه ويعظمه مَنْ يهون عليه أمره ونهيه ؟!

وفي اختياره للفظ اللمم ما ينبئ عن علمه بعفتها وأنها أبعد ما تكون عن الزلل، فإن اللمم في أصله فعل الذنب دون أن يكون ذلك عادة للمذنب(١).

سابعًا: من صور تعظيم الله تعالىٰ الظاهرة في هذه الحادثة، تعظيمه تعالىٰ بالصبر علىٰ بلائه، ومقابلته بالرضا والتسليم، وانتظار الفرج منه سبحانه، وهو ما كان من النبي ﷺ تجاه هذا البلاء العظيم، فلم يثبت عنه ﷺ أنه تعجّل نزول الوحي، مع أنه قد لبث شهرًا لا يُوحىٰ إليه. بل كان عليه الصلاة والسلام صابرا، مسلمًا الأمر لربه فلم يحكم لنفسه ولم يجزم في القصة بشيء إلا بعد نزول الوحي مع وجود القرائن الدالة علىٰ طهر زوجه وبراءتها ممَّا رميت به.

و المتأمِّل في حال أمّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يجده حال المؤمن الحقّ، القائم بين مقامي الصبر والشكر، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٢)، فلم تجزع ولم تسخط بل قابلت البلاء بالصبر والثبات وهو ظاهر في قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فصبر جميل والله المستعان علىٰ ما تصفون»؛ وما هذا إلّا لكمال إيمانها وتعظيمها لربها فإن مَنْ لم يمتلئ قلبه بتعظيم الله وخوفه فلربما تذمر ونطق بالسخط عند المصيبة، ولربما فعل ما هو أكبر من ذلك من الكفر بالله سبحانه.

كذا من مظاهر تعظيم الله في هذا الموطن الاستعانة به تعالىٰ عند حلول المصائب (والله المستعان)، وإحسان الظنّ به كما فعلت أمّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حين قالت: «والله يعلم إني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي»، فكان الجزاء من الكريم علىٰ صبرها وحسن ظنّها به سبحانه أن أعلىٰ ذكرها وبرَّأها من فوق سبع سماوات بآيات تتلىٰ إلىٰ قيام السَّاعة.

ثامنًا: من سبل تعظيم الله تعالىٰ المسارعة إلىٰ فعل ما يرضيه، وأن لا يجعل العبد تعظيم الله تعالىٰ مانعًا له عن فعل الخير، وسببًا في قطع ما أمر الله بوصله، وترك ما أمر بفعله، يقول تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة].

---

(١) البحر المحيط الثجاج (٤٣/ ١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

ظهر ذلك في موقف الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حلف -بعدما نزلت براءة عائشة- ألّا يتفق علىٰ مسطح؛ بسبب نيله من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وخوضه في الإفك، فأنزل الباري سبحانه قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور]، فنُدب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ العود إلىٰ مسطح بفضله، وترْك معاقبته علىٰ ما كان منه، ورُغِّبَ في ذلك بالوعد بالمغفرة؛ حينها سارع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ فعل ما يرضي الله تعالىٰ، ولم يجعل حلفه علىٰ ترك النفقة مع قدرته علىٰ التكفير عنه مانعًا من إعادتها، فرجع إلىٰ مسطح ما كان يصله من النفقة وقال «والله لا أنزعها أبدًا»، بل ورد أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد ضاعف له النفقة، وجعل له مثلي ما كان ينفق عليه قبل[(١)]، دافعه تعظيم ربه تبارك وتعالىٰ، وطمعه أن ينال عفوه ومغفرته.

تاسعًا: من طرق تعظيم الله تعالىٰ لفظًا أن ينسب العبد كل نعمة حاصلة له إلىٰ الله المنعم بها، وأن يقوم بحقها من الشكر يقول تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضُّحىٰ]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ويقول: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[النحل: ١١٤]، لذا قال أبو عبد الله خلدون الحقوي عند شرحه لباب قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾[فُصِّلَت] هذا الباب في بيان وجوب تعظيم الله تعالىٰ في الألفاظ، وأنّ النعم يجب أن تنسب إليه، وأن يُشكر عليها فتُعزىٰ إليه[(٢)]. كما بيَّن -رَحِمَهُ اللَّهُ- أن من أسباب سلب النعمة وزوالها عن صاحبها عدم إسنادها إلىٰ المنعم بها حقيقة وهو الله، أو أن ينسبها العبد إلىٰ نفسه فيسيء إلىٰ جانب الربوبية.

والمتأمل في حادثة الإفك يرىٰ تعظيم أمّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لربِّها في نسبتها إليه ما أنعم به عليها من ظهور براءتها، وبيان عفّتها وحصانتها، وكونها أبعد ما تكون عمّا رُميت به من الفاحشة، ويجدها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قائمة بحقّ هذه النعمة حمدًا حين قالت: «فإني لا أحمد إلّا الله»، قال ابن المبارك[(٣)]: «ولَّت الحمدَ أهله». كما ظهر تعظيمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لله تعالىٰ في تحقيرها

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤١٤)، التفسير الوسيط (٣/ ٣١٣).

(٢) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالتفنيد لشبهات العنيد (٣٩٤).

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي، كان عالمًا بالعربية والفقه والحديث وأيام الناس، توفي سنة ١٨١هـ. تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠١)، السِّير (٧/ ٣٦٥)، تقريب التهذيب (٣٢٠).

لنفسها، وازدراءها لها، فلم تر أنّها أهلٌ لئَن ينزل الله تعالىٰ في شأنها قرآنًا يتلىٰ، تقول: «وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَىٰ، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ»، وهذا من تحقيقها للعبودية لله -تعالىٰ- تعظيمًا له. يقول الإمام الهروي: «تعظيم الحقّ سبحانه هو ألّا يجعل دونه سببًا، ولا يرىٰ عليه حقًا، أو ينازع له اختيارًا»[(١)]. فإنَّ مَنْ ينسب النعمة إلىٰ نفسه من جهة الاستحقاق، ويرىٰ نفسه مستحقًا لذلك الشيء علىٰ الله -عزَّ وجلَّ- فهذا مسيء من جانب العبودية [(٢)].

(١) تعظيم الله جل جلاله (٢٣).
(٢) التوضيح الرشيد (٣٤٩).

الخاتمة

الحمد لله وحده والشكر له امتثالًا لأمره، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده وعلىٰ آله وصحبه،،

وبعد؛ فإنَّ من منّة الله تعالىٰ إتمام هذا البحث الذي توصلَّت من خلاله لبعض النتائج أبرزها ما يلي:

١- لتعظيم الله سبحانه وتعالىٰ العديد من السبل التي ينبغي علىٰ المسلم المحافظة عليها.

٢- من آثار تعظيم الله تعالىٰ، تربية النفس علىٰ إجلاله وخوف عقابه مما يكون سببًا في السلامة من الزيغ.

٣- من صور تعظيم الله – عز وجل – أن تعظّم أوامره بالقيام بحقوقها، وتعظم نواهيه باجتنابها.

٤- كان رسول الله ﷺ، وأهل بيته الأطهار، وصحابته الكرام خير من يعظم الله تعالىٰ ويقدره حق قدره.

٥- وجوب الإيمان ببراءة أم المؤمنين – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – مما رميت به، وأن القول خلاف ذلك مما يكفر به العبد، لتكذيبه لكلام الله تعالىٰ.

٦- مَنْ يرد الله به خيرًا يُصِب منه؛ فإن ابتلاء أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان خيرًا لها إذ أظهر رفعتها وعلو شانها عند الله تعالىٰ، حين أنزل في شانها قرآنًا يتلىٰ إلىٰ قيام الساعة.

ومن التوصيات التي يوصىٰ بها:

١- الاهتمام بسيرة سلف هذه الأمة، واستظهار طرق تعظيم الله من خلالها.

٢- تغذية المجتمع المسلم بنماذج يحتذىٰ بها في تعظيم الله تعالىٰ حتىٰ يصبح مجتمعًا معظمًا لربه حافظًا لحدوده، لا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن.

المصادر والمراجع

١- أسباب نزول القرآن-علي بن أحمد الواحدي-تحقيق عصام الحميدان-ط الثانية، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٨ م-دار الإصلاح - الدمام

٢- الاستيعاب في معرفة الاصحاب/ يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي/ تحقيق علي البجاوي-ط الأولىٰ، ١٤١٢هـ-دار الجيل - بيروت.

٣- أُسد الغابة في معرفة الصحابة-علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الاثير/ تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد-ط الأولىٰ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م-دار الكتب العلمية - بيروت.

٤- أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري-أبو حذيفة نبيل بن منصور البصارة الكويتي-ط الأولىٰ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م-مؤسسة الرسالة - بيروت

٥- البحر المحيط-محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي-تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي معوض-شارك في التحقيق د. زكريا النوقي - د. أحمد الجمل-ط الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م-دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٦- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج-محمد بن علي الإتيوبي-ط الأولىٰ، ١٤٢٦هـ-دار ابن الجوزي.

٧- التحرير والتنوير-محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي-ط (بدون)، ١٩٩٧م-دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.

٨- تذكرة الحفّاظ-محمد بن أحمد الذهبي-تحقيق زكريا عميرات-ط الاولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م-دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٩- تعظيم الله جل جلاله (تأملات وقصائد)-أحمد عثمان المزيد-ط الأولىٰ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م-دار الوطن للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٠-تفسير القرآن العظيم-إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي-تحقيق سامي سلامة ط الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م-دار طيبة للنشر والتوزيع

١١-تفسير القرآن العظيم/ لابن أبي حاتم الرازي-تحقيق أسعد الطيب-ط الثالثة، ١٤١٩هـ-مكتبة نزار مصطفىٰ الباز – المملكة العربية السعودية.
١٢-تفسير مجاهد-أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي القرشي-تحقيق د. محمد عبدالسلام-ط الأولىٰ، ١٤١٠ هـ - ١١٩٨٩ م-دار الفكر الاسلامي الحديثة – مصر
١٣-تفسير مقاتل بن سليمان-لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي-تحقيق أحمد فريد-ط (بدون)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م-دار الكتب العلمية-بيروت – لبنان.
١٤-تقريب التهذيب-أحمد بن علي بن حجر العسقلاني-تحقيق محمد عّوامة-ط الأولىٰ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م-دار الرشيد – سوريا.
١٥-التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالتفنيد لشبهات العنيد-خلدون بن محمود الحقوي-المكتبة العربية الكبرىٰ
١٦-التوضيح لشرح الجامع الصحيح/ ابن الملقن عمر بن علي الشافعي المصري-ط الأولىٰ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م-دار النوادر – دمشق.
١٧-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي-تحقيق عبدالرحمن اللويحق-ط الأولىٰ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م-مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
١٨-جامع البيان في تأويل آي القرآن-محمد بن جرير الطبري-تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي-ط الأولىٰ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م-دار عالم الكتب – المملكة العربية السعودية.
١٩-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه-محمد بن إسمعيل البخاري-تحقيق محمد زهير الناصر-ط الأولىٰ، ١٤٢٢هـ-دار طوق النجاة.
٢٠-الجامع لأحكام القرآن-أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي-تحقيق هشام البخاري-ط (بدون)، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م/ دار عالم الكتب – الرياض.
٢١-جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ خير الأنام-محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية-تحقيق عيب الأرنؤوط – عبدالقادر الأرنؤوط-ط الثانية، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م-دار العروبة- الكويت

٢٢-الدر المنثور في التفسير بالمأثور-عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي- تحقيق مركز هجر للبحوث-ط (بدون)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م-دار هجر – مصر.
٢٣-ذيل طبقات الحفاظ للذهبي-عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السوطي- تحقيق: زكريا عميرات-ط (بدون)-دار الكتب العلمية – بيروت
٢٤-زاد المعاد في هدىٰ خير العباد-محمد بن أبي بكر (بن قيم الجوزية)-ط السابعة والعشرون، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م-مؤسسة الرسالة – بيروت
٢٥-سنن أبي داود-سليمان بن الأشعث السجستاني-تحقيق شعيب الأرناؤوط – محمد كامل-ط الأولىٰ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م-دار الرسالة العالمية.
٢٦-سنن الترمذي (الجامع الكبير)-محمد بن عيسىٰ بن سَوْره الترمذي-تحقيق بشار عواد-ط (بدون) – ١٩٩٨-دار الغرب الإسلامي – بيروت.
٢٧-سير أعلام النبلاء-محمد أحمد الذهبي-ط (بدون)، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م-دار الحديث – القاهرة.
٢٨-شرح صحيح البخاري: أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري-تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم-ط الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م-مكتبة الرشد – الرياض
٢٩-شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم-نشوان بن سعيد الحميري-تحقيق د. حسن العمري – مطهر الإرياني – د. يوسف محمد-ط. الأولىٰ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م-دار الفكر المعاصر – بيروت
٣٠-الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول/ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني- تحقيق محمد محيي الدين-ط (بدون)-الحرس الوطني – المملكة العربية السعودية
٣١-صحيح الجامع الصغير وزيادته-محمد ناصر الدين الألباني-ط الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨-المكتب الإسلامي – بيروت.
٣٢-صحيح مسلم-مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري-تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي-ط (بدون)-دار احياء التراث العربي – بيروت.
٣٣-طبقات المفسرين-محمد بن علي الداودي-ط (بدون)-دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٤-عمدة القاري شرح صحيح البخاري-أبو محمد محمود بن أحمد، بدر الدين العيني-ط (بدون)-دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٥-فتح الباري شرح صحيح البخاري-أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه محب الدين الخطيب ط (بدون)، ١٣٧٩هـ-دار المعرفة – بيروت.
٣٦-فيض القدير شرح الجامع الصغير-عبدالرؤوف بن تاج العارضين المناوي-ط الأولىٰ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م-دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٣٧-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-محمود بن عمر الزمخشري-تحقيق عبدالرازق المهدي-ط (بدون)-دار احياء التراث العربي – بيروت
٣٨-لسان العرب-محمد بن مكرم، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري-ط الثالثة، ١٤١٤هـ-دار صادر – بيروت.
٣٩-مسند إسحاق بن راهويه-لأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه-تحقيق عبدالغفور البلوشي-ط الأولىٰ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م-مكتبة الإيمان – المدينة المنورة.
٤٠-معاني القرآن وإعرابه-إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج-تحقيق عبدالجليل عبده شلبي-ط الأولىٰ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م-عالم الكتب – بيروت.
٤١-معجم البلدان/ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي/ ط الثانية، ١٩٩٥م-دار صادر – بيروت.
٤٢-المعجم الكبير-سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني-تحقيق حمدي السلفي-ط الثانية-مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
٤٣-معجم مقاييس اللغة-أبو الحسن أحمد بن فارس-تحقيق عبدالسلام هارون-ط (بدون)، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م-دار الجبيل – بيروت
٤٤-مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)-محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي-ط الثالثة، ١٤٢٠ هـ-دار إحياء التراث العربي – بيروت
٤٥-المفردات في غريب القرآن-الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني-تحقيق صفوان الداودي-ط الأولىٰ، ١٤١٢ هـ-دار القلم – دمشق
٤٦-منة المنعم في شرح صحيح مسلم-صفي الرحمن المباركفوري/ ط الأولىٰ-١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م-دار السلام للنشر والتوزيع/ الرياض- المملكة العربية السعودية.

٤٧-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي-ط الثانية، ١٣٩٢هـ-دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٨-النكت والعيون-أبو الحسن علي بن محمد الماوردي-تحقيق السيد بن عبدالمقصود-ط (بدون)-دار الكتب العلمية-بيروت – لبنان.
٤٩-النهاية في غريب الحديث والأثر/ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير-تحقيق طاهر الزاوي – محمود الطناحي-ط (بدون)، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م-المكتبة العلمية – بيروت-١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٠-هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين-إسماعيل بن محمد البغدادي-ط (بدون)، ١٩٥١ م-وكالة المعارف الجليلة – استانبول
٥١-الوسيط في تفسير القرآن المجيد-علي بن أحمد الواحدي-تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد، والشيخ علي محمد معوض، د/ أحمد صيرة، د. أحمد الجمل، د. عبدالرحمن العويس-ط الأولىٰ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤/ دار الكتب العلمية – بيروت.